أدب جديد لعصر جديد، هنا تبرز صفة الجدة للأدب والعصر، وصفة الجدة تقبض القدامة، وثمة علاقة تبادلية بينهما، فوصفنا لعصر ما وأدب ما بانهما جديدان وحاضران، يشيران ويخفيان في الآن ذاته في نسجهما أدباً وعصراً قديمين غائبين. ومن قدر الجديد ان يصير قديماً ولم يحدث ان أصبح القديم جديداً، ولكن قد ينحل في شبكة علاقات الجديد.

ثم ان الجدة والقدامة صفتان نسبيتان وداخليهما مستويات متفاوتة أو هما ينطويان عليها، بحسب المراحل التاريخية التي عاشتها المجتمعات والشعوب والاطوار التي نازعتها.

أحلام اليقظة ومصفاة الرؤيا

كل قديم كان جديداً في عصره

ابن قتيبة

د. رعد عبد القادر

لقد عاشت البشرية عصوراً متعددة وانتقلت تدريجياً ومن ثم حاسماً من عصر الى عصر وانتجت معارفها وآدابها وفنونها ووسمت بميسم عصر الكهوف أو عصر الصيد أو عصر المحراث او عصر البخار أو عصر الجاز.. الخ وكانت ثمة عصور للدين والفلسفة والشعر والفن، وعصر للعلم، وكان ثمة تداخل بين هذه العصور وانتصار لعصر على عصر، ويجوز لنا ان نسمي العصور القديمة -دون تفصيل في اسبقية عصر على عصر- بعصور الرسم والايقاع والمخيلة الساحرة والحدوس، ونسمي العصور الجديدة بعصور العقل والتحليل ودراسة البنى والعلاقات، ويجوز لنا ان نضع الشعر في ماضي البشرية، والرواية في حاضرها..

فبأية عين ننظر الى أدب جديد بعين العقل ام بعين القلب، بالتحليل العقلي ام بالتحليل القلبي؟ وهل لباطن الأدب من جديد وقديم أم ثمة كشف بطيات غير مرئية نتحرك اليها بعين القلب لنستشرف كل المسافات وكل الأعصر في لحظة تجل خاطف لايعود بعدها للزمن من معنى غير معنى الحاضر المستنزف الى آخر قطرة دم؟

ثم نعود الى الجدة والقدامة في الأدب لنقول ثانية انهما نسبيان من جهة مراحل التغير التي مرّ بها الأدب عبر عصوره: من عصر كلاسيكي الى عصر رومانسي ورمزي.. الخ وهما نسبيان ومتفاوتان من جهة الرؤية، وآخذ -هنا- التكعيبية، مثالاً على التغير في رؤية الأشياء.

وآخذ من الرواية: الرباعية الاسكندرانية للورنس داريل، مثالاً للتكنيك الموشوري الذي اعتمده الروائي في رباعيته، ومثالاً على الرؤية الجديدة في الأدب الروائي.

وآخذ من تشويش الحواس وتراسلها لدى بودلير ورامبو مثالاً آخر، لكشوفات الشعر الجيدة.

وآخذ من عزلة كفافي ومن عمليات سبره الشعري للتاريخ، بلغة خالية من الزخرفة ومقتصدة الى اقصى حدود الاقتصاد، مثالاً بل أمثلة على رؤية الشاعر الجديدة في التعامل مع جغرافيات وأشخاص وتواريخ غريبة -للوهلة الأولى- مع لحظة الجسد المزق والواهن والزائل، والخالد أيضاً، مع متعه العابرة ويطل مثال من يانيس ريتسوس، المريض بالسل، نزيل المصحات والمنافي والسجون، المنكوب بوطنه وعائلته، ليفجر ادباً جديداً، معتمداً على كنايات بصرية، وعلى تكثيف وتصعيد للواقعي الى مصاف الأسطوري وعلى احساس جديد بحياة التفاصيل اليومية لبنائها في مشهد وحكاية عبر ممرات السرد ومراياه ونوافذه ويقدم عمى بورخس سجلات ووثائق كونية، ينيرها ضوء دخيلاته..

ويتقدم الساحر كالفينو بعصاه ليشير الى قلعة المصائر المتقاطعة والى المدن اللامرئية بكشف أدبي جديد ولدينا السياب الذي ضاق عليه معطف الجواهري ومعطف الرومانسية ومعطف الشعراء التموزيين، ليجعل من الايقاع الشعري بديلاً للوزن وليحدث مع آخرين زلزلة اوقعت القديم في شراك الجديد.

ويحطّ أدونيس وانسي الحاج بقصيدة النثر من نوافذ مفتوحة واعماق ملتاعة بجسد الكلمة وروحها...

وقد مضى عصر وأطل عصر.

فأين يذهب العصر الجديد بميزات عصر مضى؟

وأين يضع الشاعر قدميه في عصر العولمة والقطب الواحد، والشركات العملاقة والتهديدات المستمرة للوجود والاستخدام الجديد للمصطلحات السياسية بقصد القهر والتطويع والاستلاب؟ لقد تحولت احلام اليقظة الى كوابيس وامتلأت مصفاة الرؤيا بالاحجار لكن الشاعر يتقدم برغم هذا كما تقدم انبياء العهد القديم بمرائيهم وأناشيدهم...

لقد بات على الشاعر ان يتحصن بلحظة وجوده، ان يعانق موشوره وان يعيد اكتشاف الحب في جغرافيا القصيدة وزمنها، فليس ثمة أنا للشاعر بل ثمة أنا للشعر، للكنائية العظيمة لقد تحول العصر من عصر استعارة الى عصر كتابة.

لقد ولى عصر الكل وبدأ عصر الجزء، لقد ولى عصر الوسائل البديعية وبدأ عصر الوسائل البيانية، اصبحت وصية الجاحظ، المعاني مطروحة في الطريق، قديمة قدم هذا العالم..

سيحل عصر المعنى والدلالة

ولن يكون ثمة مسار خطي للأدب أو التاريخ ولن يكون ثمة قديم كامل او جديد كامل.

وفي الشعر سيتقدم المعنى خطوات باتجاه قصيدة النثر، التي هي شعر المعنى بالاساس..

اننا بوقوفنا على اعتاب عصر جديد نتطلع لتشكيل معانينا الجديدة وفق رؤانا الجديدة.

انجزت من خلال تجربتي الشعرية مواصفات القصيدة التي أريد ان تظل مفتوحة على شتى آفاق الاحتمالات ولم أكن أريدها ان تظل اسيرة نمط معين من الكتابة، ووجدت ان حريتي تكمن في الطريقة التلقائية -ولا اقصد الكتابة التلقائية أو الآلية- في مباشرة الولوج الى منطقة الاسرار لقصيدتي،

اكون تشكيلياً بمعنى قدرة الفنان على امتحان بصره في رحلة التكوين الفني،

واكون راقصاً بمعنى ان يحرر الرقص الجسد لتنعتق الكلمة من اسر العادة والمألوف،

واكون في مرحلة فناء كامل، مرحلة فناء شعري، بمعنى انمحاء أناي لصالح الشعر

واكون طفلاً سرمدياً في حجر الشعر، بمعنى القدرة على الاندهاش بالاشياء البسيطة،

واكون ساحراً بمعنى القدرة على النفاذ الى روح هذه الاشياء وتحويلها..

وراء كل هؤلاء، اكون أنا،

أكون مستعداً للكتابة

وراء هؤلاء أنا، أنجز مخطوطتي..

لقد قطعت طريقاً طويلة، من متاهة الشكل -وكنت في غاية السعادة بتلك المتاهة- الى فضاء المعنى الذي اسلمني الى قصيدة النثر بسعادة أكبر.. الا ان علاقتي بعالمي وكوني حزينة، ويبلغ الحزن بهذه العلاقة الى حد المحاولة لولا سعادتي اذ حين انتهي من الكتابة أحس بفراغ رهيب، فراغ يملأ روحي.. ان هذا الفراغ او الاحساس الدائم به هو ما يجعلني اصارعه بالكتابة المتجددة دائماً، وسأظل: أنا والفراغ والكتابة وصراعنا الدائم، وراء كل اجتراح لمعنى جديد..

ان الشعور يستطيع ان يطوع الزمن مثلما طوع الانسان ويستطيع الشاعر ان يتخطى مصائد الزمن المنصوبة كعلامات أزلية، بتغيير الزمن لصالح الكتابة الشعرية الجديدة دائمة التجدد بتجدد المعنى

هل اقترح بعض الواصفات لكتابة قصيدة جديدة؟

أستطيع ذلك ولكن لا استطيع ان أعمم

ثمة مشاكل فنية كثيرة تعترض القصيدة، اللغة، الاتباع، التركيز على الجانب الدلالي، بناء المشهد، تقديم الحكاية، الازمنة السردية، تفضيل الكتابة على الاستعارة..

وثمة مشاكل أخرى تتعلق بالواقع وتفاصيله والطريقة في رؤية هذا الواقع والتعامل معه تعاملاً ينتشله من نثرية عادية الى شعر حي متحرك..

وهكذا فانا اعتني بكل هذه المشكلات عناية خاصة واحاول ان اقترح الاجوبة لها..

قد أجد الاقتراب من لغة الحياة اليومية منطلقاً لغتي الشعرية ومن نثر كسر ايقاعية خلال مناطق القصيدة لتشكل ايقاعاً للقصيدة ككل لا ايقاعاً لاجزائها، الهول قد أجد في ذلك حلاً لمشكلة الايقاع في قصيدة النثر وما هذا إلا لمزيد اعتناء بالجانب الدلالي من القصيدة أي انني اطمح الى ايقاع المعنى في كامل القصيدة.

وقد وجدت ان قصيدتي تبني مشهداً من لقطات بصرية وتصنع حكاية وتستثمر السرد في بناء الحكاية، وتتعامل مع البلاغة الحديثة وتركز على الكتابة وتستثمرها، ويشكل الواقع وتفاصيله مادة ثرة لقصيدة النثر التي أردت ان تكون قصيدتي، اقول قصيدتي ولا أستطيع ان اعمم نموذجها، فهناك طرق في الكتابة الشعرية الجديدة بعدد انفاس الخلائق كما تقول الصوفية..

هذه هي بعض مقترحاتي لولوج عصر جديد بكتابة جديدة

ولاريب ان ثمة مقترحات أخرى لشعراء آخرين

ما يعتقده كارلوس فوينتس

أرض غير مكتملة أسمها المكسيك

منذ روايته الأولى (الأرض الأكثر شفافية: 1958 حتى روايته الأخيرة (لورا دياز: استطاع الروائي المكسيكي كارلوس فوينتس (1928) أن يكون فارس أدب أميركا اللاتينية الأشهر والأهم. فعلى مدى خمسة عقود تقريباً كتب فوينتس عشرين رواية، هذا فضلاً عن عدد من المسرحيات، وبعض الدراسات المهمة لعل أشهرها كتابه (جغرافيا الرواية: 1993).

أسيل بهجت

ومتابعو فوينتس يعرفون انه اهتم كثيراً بتصوير وطنه الأم: المكسيك، وبرع في الكشف عن تاريخها وثقافتها ووجوهها المتعددة. وقد أبى -أخيراً- إلا ان يتوج مسيرته الابداعية تلك بإصدار سيرة ذاتية متميزة، شكلاً ومضموناً، سماها: ما أعتقده. وفور صدور الكتاب أجرت المغازين لتحرير حوارامع الكاتب، أحاول -هنا- ان ارسم خطوطه العامة.

لقد كشف فوينتس، في حواره هذا، انه أراد لهذه السيرة ان لا تكون كلاسيكية، لذا اعتمد اسلوباً حوارياً مع الذات، يجمع الى جانب الاعتراف، استعادة الذكريات في أطار سردي، وبتأثير دون كيشوت سير فوينتس مزج عمله هذا بين السيرة الذاتية والرواية والاعترافات، في فصول متعددة لا تتبع التسلسل الزمني كما هو معتاد، بل التسلسل الهجائي. وقد أتاح له ترتيب فصول السيرة على وفق حروف الهجاء، مساحة أكبر للخيال، كما يقول.

لقد مارس سير فانتيس تأثيراً كبيراً في فوينتس لم يبلغه كاتب آخر، وهذا هو الذي جعله يحاكي دون كيشوت في تعدديتها الكبيرة، وجمعها فنوناً ومذاهب وسوى ذلك من الأساليب. وقد بلغ شغف فوينتس بسير فوينتس انه اعتاد قراءته في كل عيد فصح، ليكتشف في كل مرة اشياء جديدة تتأسس -بالطبع- على قراءة مختلفة. من هنا قدم فوينتس سيرة فكرية ومنحلة وفاتنة، كشف فيها اسراره ومفاتيح عمله، ذكرياته ومشاعره، افكاره تأملاته السياسية، مشاعره وصداقاته، مفاهيمه وتصوراته عن الوطن والحرية والثورة والرحلة والجنس، حتى جاء كتابه هذا اشبه ما يكون بالسكلوبيديا، هي ببساطة السكلوبيديا فوينتس.

لقد تعرض كاتبنا مراراً للتاريخ، سواء في رواياته أو دراساته، وقد شمل ذلك بالطبع -سيرته الأخيرة. ولفوينتس وجهة نظر جديرة بالاعتبار، تخص كيفية تعامل الأديب مع التاريخ، إذ ينبغي له دائماً ان يمتلك المسافة الملائمة، بينه وبين الحادث التاريخي، كي يتسنى له الكتابة برؤية فريدة ولايمكن للمبدع ان يمتلك هذه المسافة الا حين يكون "في العالم"، ويفك ارتباطه بالتاريخ، ويتحرر منه. بمعنى آخر: على المبدع أن يعرف مكانه من العالم بالضبط، وان يعي بأنه يتعامل مع كل شيء فيه، عبر اللغة والخيال. من هنا، وعلى الرغم من حضور المكسيك الدائم في اعماله، ظل فوينتس يمتلك تلك المسافة الموضوعية الكائنة بينه وبينها. وفي سيرته الأخيرة يتحدث عن "أرض غير مكتملة"، وما ذلك الا لقناعته بأن كل المكسيكيين لديهم شعور بأن بلدهم دو بناء ناقص.

وهذه القناعة أتت من الوضع السياسي المتأزم، إذ تعيش المكسيك حالة نزف مستمر. فهناك التلوث وعدم الأمان والجريمة، مثلما هناك حزب واحد يحكم منذ سبعين سنة، مما أوقع البلد في الجمود والشلل، ومنع نموه وتطوره وتقدمه. إن المكسيك تعيش اليوم حالة الانتقال إلى الديمقراطية، ووجود الانتخابات الحرة والصحافة الحرة يكفلان ذلك. إلا ان هناك مزية إيجابية جميلة في المكسيك تتمثل في الجنسية والثقافة. فهي من جهة تحوي اجناساً مختلطة وممتزجة فهناك (1*) فقط من الجنس الأبيض، و (10*) من أصل هندي. أما الباقي فكله مختلط. ويرى فوينتس أن السنوات الخمس والعشرين القادمة ربما تكون كفيلة بأن لا تحوي المكسيك جنساً نقياً ابداً. هكذا تأتي نبوءته القائلة بأن العالم كله يسير نحو ((الهجنة))، بسبب ظاهرة الهجرة المستمرة. لقد تزايد ايمان البشر اليوم بأن هويتهم تترسخ بانفتاح بلدهم على الأجناس الأخرى، عبر الاحتكاك والاتصال بهم"، وهذا كله كفيل بأن يحقق لهم نوعاً من السلام، ولا يخلصهم من آفة الانغلاق.

ويذهب فوينتس إلى أن ظاهرة الهجنة الجنسية تؤثر في شكل الثقافة ومحتواها. إذ يمكن للعالم الجميل والفاتن الذي يوجد عند حدود مدينتين ان يزحف على بلد بأكمله، فيطبعه بتعددية ثقافية ساحرة، تعج بالحراك والصيرورة، شاملة اللغة والعادات والتقاليد والمعتقدات، مما يولد واقعاً ثقافياً، متنوعاً وخصباً.

وانطلاقاً من ايمانه بديمقراطية عالم الرواية خاصة، والعالم بوجه عام، يشير فوينتس إلى أهمية اللجوء إلى مفهوم "الكرنفال" الذي طرحه الناقد الروسي ميخائيل باختين، هذا المفهوم الذي ميز الرواية ذات الأصوات المتعددة عن سواها. ويسعى كاتبنا إلى ان يبني عالمه الكرنفالي الذي يجمع التاريخ والسيرة الذاتية، علم النفس والسياسة. وهذه التعددية تدخل في نسيج العمل الابداعي، مما يضمن حضور تعددية العالم التي لا تجد تواز نها الا في الرواية.

العلامة الكرملي في ذاكرة الثقافة العربية

حسين محمد عجيل

عند التعرض الى سيرة أي من رواد النهضة العربية الحديثة، ممن لما يحظ مجمل نتاجهم بعد بدراسات ذات منهج علمي، رصين، لابد من ان تثار جملة تساؤلات، يتموضع من خلال الاجابة العلمية المتكاملة عنها هذا التراند او ذاك في مكان ما من المشهد الثقافي العام لبلده، ومن المشهد الثقافي العربي الاعم على حد سواء. ويقدر تعلق الامر بالعلامة الاب انستاس ماري الكرملي، يمكن ان تثار على الفور تساؤلات من هذا النمط: ما هو الموقع الذي يستحقه الاب الكرملي بين رواد النهضة العربية الحديثة؟ وهل وفق الى ان يكون واحدا من رجالها البارزين، من ذوي الأمر النوافح في رسم مساراتها وتحديد اتجاهاتها وتعميق ملامحها؟ وكيف يمكن تحديد المكانة التي يشغلها في ذاكرة الثقافة العربية في العراق والعالم العربي؟ وما هي ابعاد دوره في انفتاحها على عوالم وافاق الثقافات الانسانية بعامة؟

ونقول ابتداء ان هذه التساؤلات وتفرعاتها المحتملة لا تمكن الاجابة عنها بالدقة العلمية المتوخاة، ما لم يظهر الى النور التراث الموسوعي الهائل للعلامة الكرملي في الحقول التي كانت له مساهمات فيها، ليتاتى للباحث النظر في مجمل هذا النتاج وفحصه ودراسته وتقييمه، ومن ثم موضعته داخل اطار الثقافة التي ينتمي اليها، مع الاخذ بنظر الاعتبار طبيعة المرحلة التاريخية التي ظهر فيها هذا النتاج، عبر رصد وتحليل عناصرها ومكوناتها وظواهرها وتقاليدها، التي من شأنها مجتمعة تحديد اولويات فكرية واجتماعية وسياسية بعينها، تتخذ شكل الضرورة التي لا مناص لتلقي تلك المرحلة من الاستجابة الذاتية او الموضوعية لها، وتلبية الرغبة الملحة في اشباعها تناولا وبحثا ومعالجة، ولان هذا كله مازال بعيد المنال في المدى المنظور، فانه تتوجب، للاجابة عن هذه التساؤلات، الاحاطة بنتاج الاب الكرملي المطبوع في كتبه الثلاثين، والمنشور متفرقا في عشرات الصحف والمجلات العربية والاجنبية في خلال ستين عاما، وهو يزيد على الالف مقالة. فضلا عن نتاجه المخطوط، الذي يضارع المطبوع اهمية وحجما وفرادة، وهو يتمثل في كتبه ومجاميعه الخطية الاربعين، واكداس الرسائل الادبية التي تبادلها مع عشرات من رموز العصر واعلامه البارزين من عراقيين وعرب ومستشرقين من جنسيات شتى. ويكفي ان نشير هنا الى ان كتابه الاكثر اهمية وشهرة، وهو المعجم اللغوي الموسوم بـ (المساعد) الذي جاء تتويجا لجهوده اللغوية الثرة بعد ان قضى زهاء ستين عاما في جمع موادة والتنقيب المضني عن مفرداته وشرحها وتصنيفها وتبويبها، مستدركا على ما فات اصحاب المعاجم العربية القديمة والحديثة تناوله من الفاظ ومصطلحات وتعابير اصيلة او مولدة، لم ينشر منها سوى حرف الهمزة والالف هذا وقد بلغنا ان طائفة من الباحثين العراقيين شرعوا منذ نحو ست سنوات في تحقيق (المساعد) تحقيقا علميا وانهم على وشك الفراغ منه ليطبع طبعة كاملة مزودة بالفهارس الفنية ونحن اذ نشيد بهؤلاء الباحثين، نتمنى ان تاتي جهودهم مستوفية لجميع الشروط العلمية ضبطا وتحقيقا وتعليقا، ليظهر (المساعد) في طبعة انيقة متقنة ولاسيما ان الاوساط اللغوية العربية تنتظر صدور هذا المعجم الفذ منذ مطلع ثلاثينيات القرن العشرين ولعل بقاء هذا الشطر الكبير من تراث العلامة الكرملي مخطوطا لا تصل اليه ايدي الباحثين بسهولة، او محتجنا في عدد كبير من الدوريات العراقية والعربية والاجنبية الصادرة في ازمنة متفاوتة وامكنة متباعدة، هو الذي حال دون ظهور دراسات علمية متكاملة تفي الرجل بعض حقه، ووسم في الوقت نفسه معظم ما صدر من كتب وابحاث تتناول سيرته وجهوده المعرفية بالقصور. وعلى الرغم من الاهمية النسبية لبعض تلك الكتب والابحاث، وسدها ثغرة ما في هذا المجال الا انها في الغالب، ظلت حبيسة الطابع الاحتفائي الصرف، او الجهد الفهرسي، او التعريف المجمل بهذا الجانب او ذاك من سيرة الاب الكرملي ومواقفه ومشاركاته العلمية وعلاقاته ببعض معاصريه، ولم تكد تتجاوز التعميمات والاشارات السريعة المقتضبة الى الاستقصاء والتوغل في البحث وصولا به الى نتائج واحكام علمية اصيلة. ولسنا هنا بصدد القيام بمثل هذه الدراسة المتكاملة عن الاب الكرملي وجهوده المعرفية المتنوعة، فهذا مشروع لا يكاد يسعه كتاب بذاته، ولكننا نطمح ان نؤشر اللامح العامة لشخصية الاب الكرملي باعتباره واحدا من رواد النهضة العربية، ونسلط الضوء على الدور الثقافي الذي مارسه على اكثر من صعيد في اطار العصر الذي ينتمي اليه، بهدف تلمس المكانة التي يشغلها في ذاكرة الثقافة العربية الحديثة. وهنا لا بد من تقرير حقيقة ان العراق ظل بمنأى عن الاتصال الجدي بالحضارة الغربية الحديثة حتى مطلع القرن العشرين، خلافا لاقطار عربية اخرى، وتحديدا مصر وسورية ولبنان، التي كان اتصالها بالغرب مبكرا لتوفر عوامل جغرافية وتاريخية وسياسية ساعدت على هذا الاتصال ونشطته، خصوصا وان القبضة العثمانية المحكمة في العراق كانت متراخية نسبيا في لبنان، واكثر تراخيا في مصر، ان لم تكن غائبة تماما منذ عصر محمد علي. ولعل ظهور الاب الكرملي في هذه المرحلة بالذات من تاريخ العراق المعاصر، حيث شهدت بغداد ولادته في 1866/8/5 قد هيأله فرصة ان يمارس دورا ثقافيا لا نبالغ اذا وصفناه بالاستثنائي، وقد اهله للاضطلاع بهذا الدور تكوينه الثقافي الفريد وذخيرته المعرفية الموسوعية الرصينة، التي تمثل نتاج تلاقح اصيل بين التراث العربي في نماذجه المشرقة، والثقافة الاوربية الوافدة بفتوحاتها العلمية وما تمخض عنها من مناهج حديثة في البحث العلمي، وتبحره في لغته العربية نحوها وصرفها وفقهها وتاريخها وادابها والفاظها الاصيلة والمعربة والمولدة والدخيلة الذي اردفه بتضلعه او المامه ببضع عشرة لغة اخرى بين شرقية وغربية كاليونانية واللاتينية والفرنسية والانكليزية والارامية والعبرية والنذالية والتركية والفارسية والحبشية في سبيل الكشف عن التاثيرات المتبادلة بينها وبين العربية، هذا فضلا عن مشاركاته الثرية في حقول الادب والنقد والتاريخ والترجمة والتحقيق والخطط ودراسة التراث الشعبي، اذ سجلت له الريادة في معظم هذه الحقول، هذا فضلا عن ريادته في مجال الصحافة. كل هذه المؤهلات مكنت الاب الكرملي من التحرك الفعال في ثلاث دوائر ثقافية متداخلة، بؤرتها العراق، ومحيطها العالم العربي وامتداداته الاسلامية، وفضاؤها الانسانية بثقافاتها المتنوعة ولاسيما الاوربية منها. ولا شك في ان لوعي الاب الكرملي بفرادة تكوينه الثقافي مقارنة بمعاصريه من رواد النهضة العربية الحديثة، وبخاصة العراقيين منهم، اثرا مباشرا في دفعه الى الاضطلاع بدور حلقة الوصل- التنمية باصالة الى مرجعياتها- بين الثقافة العربية التقليدية والثقافة الغربية، ونرى هذا الوعي ماثلا لديه بوضوح، وهو يحدد الغاية التي من اجلها انشا مجلته الشهيرة (لغة العرب) فقد كتب في الصفحات الاولى من عددها الاول الصادر في تموز (1911) يقول "قد عقدنا النية على اصدار هذه المجلة الشهرية خدمة للوطن والعلم والادب، والغاية من انشائها ان نعرف العراق واهله ومشاهيره، بمن جاورنا من سكان الديار الشرقية وبمن نأى عنا من العلماء والباحثين والمستشرقين في الاقطار الغربية وننقل الى وطنيينا العراقيين ما يكتبه عنهم الافرنج وغيرهم من الكتاب المشهورين، عن بلادهم واقوامهم من قانين وحاليين وخالدين" ويستطرد مفصلا "ثم اننا لا ندع ديوانا من دواوين هذه المجلة الا ونورد فيه شيئا من المصطلحات الحديثة، والاوضاع العربية الطريفة، مما يوسع لغتنا الشريفة ويحدو بنا الى مجاراة الاقوام المتقدمة في الحضارة النيفة، بما يستحدث فيها من الموضوعات العصرية والمدلولات العقلية والادوات الفنية والصناعية والتصاوير الخيالية والافكار العلمية التي لا مقابل ولا مرادف لها في لساننا في هذا العهد، لانقطاع العقد بكثرة ما انتاب هذا الربوع من النوائب والرزايا، وانقطاع ديارنا عن معالم الحضارة ومعاهدها الغربية التي لازالت في سير حثيث شديد وتقدم وتجدد وتوسع وتولد. ونحن لانزال في سير ريث ونيد ووقوف وجمود وخمود وركود. فهذا املنا الكبير". ولنا ان نقول هنا انه افلح في تادية دوره هذا على اكمل وجه، ومن دون ان يقع تحت طائلة التغريب الثقافي الذي سقط في شراكه بعض من رواد النهضة في مرحلة ما من مراحل صيرورتهم بمستويات متفاوتة، اولئك الذين بشروا بدعاوى عقيمة، روجوا فيها لاحلال عاميات الاقطار العربية محل اللغة القومية الفصحى، او الاستعاضة عن الحرف العربي بالحرف اللاتيني مثلما فعلت تركيا او نبذ التراث العربي وازدرائه والغض منه والدعوة الى اقتباس كامل لثقافة الغرب وحضارته او البحث عن جذور حضارية قديمة كالفرعونية او الفينيقية او الاشورية مثلا لاتخاذها بديلا عن الانتماء العربي، وغيرها من الدعاوى التي تردد صداها هنا وهناك، ووجدت فيها الكثير من الجهات والدوائر المريبة ضالتها، فاحتضنتها وغذتها وروجت لها. لكن هذه الدعاوى سرعان ما اثبتت عقمها، وما لبثت ان اضمحلت وتلاشت وتنصل منها اصحابها بمرور الزمن بعد ان عرفت دوافعها وكشفت مراميها وفندت حججها على ايدي طائفة كبيرة اخرى من رواد النهضة العربية وتلامذتهم، يقف في صدارتهم الاب انستاس الكرملي.

ولذلك فليس غريبا على الاب الكرملي ان يكون واحدا من اكثر الاصوات المدافعة عن حضارة العرب وتاريخهم ولغتهم، البرزة اصالة ما اسهموا به في مسيرة حضارة الانسان. وقد كان لشخصيته السمحة المحببة بشهادة الكثيرين من معاصريه واخذه بيد الناشئة من الادباء والمفكرين ومقته الشديد للتعصب بكل انواعه اثر واضح في نيله منزلة رفيعة في الاوساط الثقافية العربية واوساط المستشرقين المنصفين، وانتزعت مواقفه في هذا المجال اعجابا كبيرا وما تفنيده العلمي الموثق لدعاوى الاب لويس شيخو بنصرانية الكثير من شعراء العصر الجاهلي وقبائله الا واحد من الادلة الكثيرة التي تؤكد سعيه الحثيث باتجاه الحقيقة واخلاصه لها، وتجاوزه لكل ادواء التعصب البغيض.

وفي ضوء ذلك لانجد الدكتور مصطفى جواد مغاليا في الكلمة التي ارتجلها والاب الكرملي يوارى الثرى يوم 1947/1/7

((الاب انستاس رجل وهب نفسه للغة العربية، فكان بارأبها بر الولد الصالح بامه وابيه عاطفا عليها ايام شدتها وضرائها حافظا ثائها ايام كانت هزأة الهازئين وفكاهة الافاكين" مثلما لا نجد شيخ العروبة احمد زكي باشا مبالغا هو الاخر حينما كتب الى الاب الكرملي في 3 تشرين الثاني (1932)

((اذا كان المجمع اللغوي العتيد سيتالف من اربعين فانت احدهم وان كان العدد ينزل الى ثلاثة فانت اولهم وان انتهى الى واحد فانت ذاك الواحد)) وليس من الغريب ايضا ان تصدر من المطران ارمان دوتشيلا هذه الكلمات بحقه:

((ان الاب الكرملي اكب مدة حياته على درس القران رغبة منه في ان يستقي من منهله اللغة العربية الخالصة ونشرها في العالم)).